# الأسس البنيوية والمنهجية للتمثلات الاجتماعية

**عزالدين الشرقي**
charkiazzeddine@gmail.com
قسم علم النفس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس- المغرب

**ملخص**
تناولت هذه الورقة موضوع التمثلات الاجتماعية من المنظور النفسي الاجتماعي، وقد ركزت بشكل أساسي على المقاربة البنيوية وأهميتها في دراسة وتحليل التمثلات الاجتماعية، إلى جانب أهم الأساليب والتقنيات المنهجية التي تعتمدها في مقاربة ظواهرها المختلفة. وتعتبر المقاربة البنيوية التمثلات الاجتماعية بنية سوسيومعرفية مشكلة ومنظمة بشكل تفاضلي، تخضع عناصرها المختلفة لتنظيم داخلي نوعي. وتتكون هذه البنية المعرفية من نظامين أساسيين؛ نظام داخلي تمثله النواة المركزية ونظام طرفي تمثله العناصر المحيطية، ولكل منهما دوره المنوط به في نظام التمثلات العام، ويشتغلان بطريقة متكاملة ويخدمان وظائف مختلفة. ويتحدد الهدف الأساس لهذا البحث في استكشاف المقاربة البنيوية للتمثلات الاجتماعية بالإضافة إلى الأسس المنهجية المعتمدة في دراسة التمثلات، ويتمثل أحدها في جمع المعطيات عن التمثلات والتي تتيح التعرف على محتوياتها الذهنية. ويسعى إجراء آخر، إلى تحديد وكشف بنية وتنظيم العناصر المركزية التي تُكوّن نواتها المركزية، وكذا مراقبة واختبار مركزية عناصرها، وذلك من خلال التداعيات اللفظية والاستحضارات التراتبية، والخطاطات المعرفية القاعدية واختبار التساؤلات.

**الكلمات المفتاحية**: التمثلات الاجتماعية؛ الأسس البنيوية؛ الأسس المنهجية.

# The structural and methodological foundations of social representations

**Azzeddine Charki**
charkiazzeddine@gmail.com
Department of Psychology, Faculty of Letters and Human Sciences Dhar Mahraz, Sidi Mohamed Ben Abdellah University, Fes, Morocco

**Abstract**
This paper explored the social representations from a psychosocial perspective; it focused mainly on the structural approach and its importance in studying and analyzing social representations, in addition to the most important methodological methods and techniques used in approaching its various phenomena. The structural approach considers social representations as a socio-cognitive structure that is formed and organized in a differential manner, the various elements of which are subject to a specific internal organization. This cognitive structure consists of two basic systems; an internal system represented by the central nucleus and a peripheral system represented by the peripheral elements, and each of them has its role in the general system of representations, and they operate in an integrated manner and serve different functions. The main objective of this research was to explore the structural approach to social representations in addition to the methodological foundations adopted in the study of representations, one of which is to collect data on representations which allow identifying their mental contents. Another procedure seeks to identify and uncover the structure and organization of the central elements that compose its central core, as well as to monitor and test the centrality of its elements, through verbal associations, hierarchical evocations, basic cognitive schemas and testing questions.

**Keywords**: social representations; structural foundations; methodological foundations.

**مقدمة**

لقد شكلت الاهتمامات العلمية بقضايا التمثلات والظواهر الذهنية المشتركة (الإدراكات والأحكام الاجتماعية، الإسنادات السببية، التصورات والمعتقدات الجماعية ... أو الإيديولوجيات)، المرتبطة بآليات ومظاهر التفكير الاجتماعي حول المشترك والمعيش اليومي، مواضيع مهمة وخصبة للبحث في علم النفس الاجتماعي المعاصر. وأصبحت التمثلات الاجتماعية social representations، من بين الظواهر التي حظيت بمكانة متميزة عند رواد المقاربة النفسية الاجتماعية، وذلك منذ صياغتها العلمية - كمفهوم- من قبل موسكوفيتسي (1961) وتأسيسها كنظرية إلى حدود ثمانينات القرن الماضي. حيث أسهمت في قلب وتجديد باراديغم التمثلات في العلوم الإنسانية والاجتماعية بشكل عام، وجعلتها تنفتح على مفاهيمها وظواهرها المختلفة. غير أن هذه الاهتمامات المتميزة التي أرستها الأبحاث والتصورات الجديدة لمفهوم التمثلات، والتي فرضتها التحولات والمؤاخذات الابستيمولوجية للباراديغم النظري المعتمد من داخلها، جعلها تمتد لتشمل في دراستها علميا، قضايا الاجتماعي social والمشترك collective من منظور معرفي cognitive perspective.

بهذا، اندرجت دراسة التمثلات ضمن الاهتمامات المعرفية للباحثين في علم النفس الاجتماعي، وشكلت مفهوما مركزيا في مجالات العلم المعرفي (علم الاجتماع المعرفي، الأنثروبولوجيا، اللسانيات وعلم النفس .,.). غير أن ارتباطها بالمنظور النفسي الاجتماعي، جعلها تتأسس كباراديغم نظري وتشكل مجالا واسعا للبحث، يسمح بفهم حياتنا العقلية اجتماعيا، ويكشف عن أنماط التفكير الاجتماعي السائدة في المجتمع، وكذا تجلياتها في المعيش اليومي عند الأفراد والجماعات. وعلى ضوء باراديغم التمثلات الاجتماعية يمكن للباحثين في العلوم الإنسانية دراسة ومقاربة العديد من الظواهر والإشكالات الاجتماعية المرتبطة بالحياة اليومية للأفراد (Jodelet، 2015)؛ إذ يمكّنهم بالأساس من فهم الآليات والعناصر المكوّنة للفكر الاجتماعي، والتي تتداخل وتترابط فيها كل من المستويات الفردية والجماعية والمجتمعية.

لقد أسهمت الانشغالات المعرفية بالتمثلات في ظهور مقاربات ونماذج نظرية عديدة، كالمقاربة السوسيوتكوينية (Moscovici، Jodelet)، البنيوي (Abric، Flament وآخرون)، والنظرية السوسيوديناميةDoise)، Lorenzi-Cioldi، Clèmence وآخرون)، إضافة إلى النموذج الأيقوني (Marcova، Billig وآخرون) المبني على تحليل الخطاب والتواصل (Buschini و Lorenzi-Cioldi، 2013)، وذلك بهدف دراسة ظواهرها المختلفة بوصفها إنتاجات ذهنية اجتماعية، ومقاربتها نظريا، ومنهجيا، وأمبريقيا، من زوايا مختلفة؛ سواء على مستوى سيرورات البناء والتشكل، أو من حيث البنية والتنظيم والاشتغال الوظيفي لعناصرها ومكوناتها القاعدية، أو ارتباطها بالروابط والمواقع الاجتماعية أو التواصل.

إن تعدد المسارات البحثية واختلافاتها الواسعة بين المقاربات العلمية القائمة عليها، جاء نتيجة تطور أدوات اشتغالها، وإبداعاتها المفاهيمية، وخلفياتها النظرية والمنهجية المختلفة. إلا أن كل هذه المسارات البحثية في التمثلات الاجتماعية، انطلقت في بدايتها من الأعمال الرائدة ل موسكوفيتشي التي أقام عليها نظريته العلمية، وبالأخص حول شروط ظهور وتكوّن التمثلات الاجتماعية وتشكلها ذهنيا، وكذا انتشارها بفعل آليات التواصل عند أعضاء الجماعات الاجتماعية والتي ترتبط أساسا بعمليتي الموضعة والإرساء. وعليه، جاءت المقاربة البنيوية لدراسة وتحليل بنية التمثلات وتنظيمها ووصف وظائفها المختلفة منطلقة في ذلك وبشكل أساسي من سيرورة تشييء objectification عناصر التمثلات بوصفها مرحلة مهمة في وصف انبنائها وتشكلها ذهنيا واجتماعيا؛ إذ تعتبرها بمثابة بنية معرفية مهيكلة بكيفية تراتبية، يحكم مجالها تنظيم داخلي نوعي، تُكوّنه مختلف العناصر المعرفية المتضمنة في التمثلات التي تجتمع حول نواة مركزية ذات عناصر نوعية محدودة.

من هذا المنطلق، تشير التمثلات الاجتماعية إلى نسق ذهني يتشكل من الآراء والإدراكات والصور الذهنية التي يحملها ويتشاركها مجموعة من الأفراد حول موضوع ما، والذي يستأثر بالتفكير والمعالجة الاجتماعية في سياق اجتماعي وزمني معي. وقد، أفضت التفاعلات والديناميات النفسية والاجتماعية إزاءه إلى بنائه واستقراره ذهنيا واجتماعيا "كمنظومة سوسيومعرفية" توجه الأفراد، ومن خلالها تُسدد جملة من الوظائف المهمة؛ التوجيهية، والتبريرية، والهوياتية والمعرفية (Abric، 1994a؛ نقلا عن الشرقي، 2020)، التي تعد أساسية لانخراط الأفراد في الأنشطة اليومية وبناء الواقع اجتماعيا وذهنيا، حيث يتفاعلون ويشاركون عبرها بشكل نشيط في ديناميات الممارسات الاجتماعية والتصرفات. كما تشارك هذه التمثلات في فهم المحيط الاجتماعي وتقييم موضوعاته وبناء هويات الجماعات (Moliner، 1997؛ Moline و Vidal، 2003). بعبارة أخرى، تسهم التمثلات الاجتماعية في تعزيز قدرات وأحاسيس انتماء الأفراد للجماعات الاجتماعية وتشكيل هوياتهم النفسية الاجتماعية داخلها، وكذا انسجامهم في المجتمع، نظرا لتشابه رؤاهم للعالم وشبه توحدها معرفيا إزاء الموضوعات والمواقف الاجتماعية التي يتواجدون فيها.

غير أن إدراك وتأويل وفهم هذا العالم كونه يزخر بالموضوعات المادية والاجتماعية والرمزية نجده يختلف في كثير من الأحيان من جماعة اجتماعية إلى أخرى من نفس المجتمع، وذلك باختلاف إدراكاتها وتصوراتها المتمايزة، إن لم تكن شبه موحدة بينها ومتشاركة كإدراكات ومعارف متقاسمة؛ أي عبارة عن تمثلات جماعية.

حيث يعود ذلك أساسا إلى الخلفيات المرجعية ونظم الفكر التي تحكم الذهنيات ويستمد منها أفراد وفاعلي هاته الجماعات الاجتماعية مبادئ تفسير وفهم ظواهر الكون؛ سواء في بعدها المادي أو الاجتماعي. وترتبط هذه المرجعيات بالمحددات التاريخية والاجتماعية والإيديولوجية والثقافية والرمزية المرتبطة بالمجتمعات والتي عبرها تتحدد وتتبلور النواة المركزية للتمثلات كونها ثمرة ونتاجا لها (Abric، 1994a؛ Rateau و Lo Monnaco، 2013).

غير أن هذه التمثلات التي تشكل بناءً وتركيبا ذهنيا للصور، والأفكار، والأخطوطات المعرفية، كإنتاجات ذهنية ورمزية واجتماعية في الآن نفسه، تصبح عبارة عن رؤى فكرية ومعارف ضمنية كونها إدراكات ومفاهيم للحس/الفهم المشترك common sense. وهي تعكس نظريات مشتركة نوعية مخصصة لبناء وتأويل الواقع (Moscovici، 1976)؛ أي غايتها فهم وتفسير وبناء الواقع اليومي رمزيا وصوريا على المستوى الذهني، وعلى هذا الأساس، تصبح نظاما معرفيا يقود كيفيات التفكير ويرشد تصرفات وسلوكات الأفراد بطريقة ما. إذ تفيد بشكل أدق "شبكة القراءة" (Moliner، 1996) والمصفاة الذهنية لإدراك وتأويل موضوعات العالم، والتي تحكم وتوجه العلاقات البين-شخصية والتصرفات والاتصالات الاجتماعية (Jodelet، 2003). بعبارة أخرى، تصبح هذه التمثلات عبارة عن "مبادئ منظمة" للمعرفة المرتبطة بالواقع والموضوعات - سواء كانت ذات طبيعة اجتماعية أو مادية أو خيالية أو حتى مثالية ومفترضة- التي تزخر بها الحياة الفردية والجماعية والمجتمعية.

نحاول في هذه الورقة العلمية تسليط الضوء على المقاربة البنيوية للتمثلات وأهميتها العلمية، وعلى أهم المرتكزات والإجراءات المنهجية والعملية التي تعتمدها في دراسة ومقاربة ظواهر التمثلات الاجتماعية؛ سواء تعلق الأمر بالكشف عن محتوياتها الذهنية، أو ترتبط بتحديد بنياتها الداخلية وتنظيم عناصر مركزيتها ومكوناتها المختلفة على نحو أشمل. ومن المؤكد، أن تناول هذه المقاربة لظواهر التمثلات يرجع بالأساس إلى معرفة واستكشاف بنية وتنظيم عناصرها القاعدية. إذ يتميز إجراؤها المنهجي عن مختلف التناولات العلمية للمقاربات النظرية الأخرى؛ سواء من حيث خلفيته النظرية أو من حيث مسعى مقاربته المنهجية.

## 1. المقاربة البنيوية للتمثلات

ارتبطت لفظة "البنيوية " بهذه المقاربة نسبة لموضوعها الرئيسي "بنية التمثلات structure of representations"، حيث شكلت دراسة وتحليل بنيات التمثلات وتنظيمها وعناصر مركزيتها اهتماما علميا للمقاربة البنيوية، بوصفها مقاربة نفسية اجتماعية لدراسة التمثلات الاجتماعية، والتي تُعرَف أيضا بـ "نظرية النواة المركزية " (Abric، 1976، 1987). وقد اعتمدت في جزء من صياغتها وبنائها العلمي على نموذج "النواة الصورية/الشكلية figurative Core" الذي اقترحه موسكوفيتشي أثناء تأسيس نظريته العلمية للتمثلات الاجتماعية، وذلك بهدف وصف وتفسير موضعة عناصر التمثلات باعتبارها عملية معرفية أساسية ضمن عمليات بناء وتَكّون التمثلات الاجتماعية (Moscovici، 1976؛ نقلا عن الشرقي، 2019). غير أن البنيوية ذهبت أبعد من ذلك، وتجاوزت ميكانيزمات التوليد والبعد التكويني للتمثلات (Rateau و Lo Monnaco، 2013)، حيث ركزت اهتمامها بشكل أساسي على الجانب المبني والمشكل (الثابت) في التمثلات، واستهدفت بالأساس عناصر ومكونات التمثلات واستقرارها كاملة، في شكلها النهائي، بوصفها بنية معرفية تشكل جزءا مهما من الحياة الذهنية والنظام الرمزي لدى الأفراد أو الطائفة الاجتماعية الحاملة لها.

شكلت التمثلات الاجتماعية من منظور البنيوية، منظومة معرفية مهيكلة ومنظمة بشكل تفاضلي، حيث تُكوّن نسقا من العناصر المعرفية (معلومات، آراء، اتجاهات، أفكار، معتقدات، أحكام، صور ذهنية ونمطية) التي ترتبط بقوالب رمزية ومعاني عميقة تستند نسقيا على الموضوع التَّمثُّلي. وتروم لتكون أكثر تجريدا ورمزية، نظرا لكونها النواة المركزية central core التي تمثل "الجزء المجرد من التمثلات" (Rateau و Lo Monnaco، 2013؛ Lheureux وآخرون، 2008)، ومعاني أخرى ترتبط بها لتكون أكثر واقعية في سياقها، بالنظر إلى أنها تحيط وتجتمع حول هذه النواة المركزية، وتكون أكثر اتصالا بالوضعيات الاجتماعية التي يعيش فيها الأفراد، أي بصفتها العناصر المحيطة peripheral elements بالنواة المركزية التي تمثل مكونا مهما من التمثلات، والتي تحميها وتحافظ على استمراريتها. ومن هذا المنطلق، أكد رواد المقاربة البنيوية (Abric، Flament، Moliner، Guimelli، Rateau وآخرون) على أن كل التمثلات الاجتماعية مُكوَّنة من عناصر مركزية وأخرى محيطية، تنتظم كليا على العناصر الأولى كونها تمثل النواة المركزية.

غير أن هذه التمثلات الاجتماعية كي تكون مفردة؛ أي بصيغة المفرد - التمثل الاجتماعي-، يجب أن تصبح عناصرها ومكوناتها مجتمعة ومنتظمة حول "نواة مركزية واحدة " (Abric، 1994a) مستقلة في هندسة انتظامها ونشأتها (أُنظر دراسة تمثلات مهنة المدرس، Charki، 2021)، وليس حينما تكون متضمنة لعناصر متشابهة في نواتها المركزية - أو حتى تطابق محتوياتها نسبيا -، لكن مواقعها تختلف في تراتبية وتنظيم التمثلات بنيويا (راجع Abric، 2003) والتي نقول عنها التمثلات بالجمع - أي تمثلات اجتماعية متعددة - بشكل مماثل، حينما تكون مواقع عناصر نواها المركزية مختلفة. بعبارة أخرى، تبقى التمثلات الاجتماعية من منطلق البنيوية

بنية معرفية يمكنها أن تحوي محتويات ذهنية متشابهة ومتماثلة لدى جماعة أو طوائف اجتماعية عديدة، لكن كيفية تنظيم وتشكيل هذه المحتويات تبقى مختلفة ومتميزة من طائفة اجتماعية إلى أخرى (Abric، 2003). وبهذا، لا يمكننا اعتبارها تمثلات اجتماعية متشابهة ومتقاسمة بين جميع أعضاء الطوائف الاجتماعية التي تكون المجتمع (المجتمعات التقليدية مثلا) حتى نقول عنها تمثلات مشتركة، أو تمثلات اجتماعية تحكمها نواة مركزية واحدة. وبالتالي، فما يجعل منها تمثلات اجتماعية مختلفة وغير متشاركة بين جميع أفراد الجماعات الاجتماعية الذين يحملونها على نفس الموضوع التّمثُّلي وتُكوّن مجتمع ما، يرجع بالأساس إلى اختلاف نواها المركزية وبنياتها الداخلية التي تختلف من جماعة إلى أخرى.

على الرغم من أن التمثلات الاجتماعية قد تختلف في عمقها بنيويا، فإنها في بعض الأحيان تكون ذات صلة قوية بتمثلات أخرى. إذ يظهر ذلك في الارتباط الوثيق بين موضوعاتها أو احتوائها لعناصر مكوناتها المعرفية داخلها، كونها تمثل جزء لا يتجزأ منها. وبالتالي، فتكوينها المُبنيّن والمنظم بصيغة خاصة، لا يعني بالضرورة أنه يضم نواة مركزية واحدة، تتشابه عناصرها، بل يوحي بوجود بعضها ضمن تمثلات أخرى. لهذا، لا يمكن اعتبارها تمثلات متطابقة أو مترادفة، بل تكشف فقط عن تداخلات وارتباطات معقدة (Doise، 1992، نقلا عن Ratinaud و Fregonese، 2020).

### 1.1 التنظيم الداخلي للتمثلات: النواة المركزية والعناصر المحيطة

شكل التنظيم الداخلي للتمثلات الاجتماعية وبنياتها الموضوع الأساس للمقاربة البنيوية. ويعد ذلك من إرثها النظري الذي تقوم عليه بالأساس، إضافة إلى مفاهيم النواة المركزية، والعناصر المحيطية ومركزية عناصر التمثلات التي تُكوّن مفاهيم إبداعية خاصة بالمقاربة البنيوية تميز ها عن غيرها من المقاربات العلمية.

تعمل البنيوية على تعريف التمثلات الاجتماعية بكونها "مجموعة مبنينة ومنظمة من العناصر" ( Lo Monaco و Lheureux، 2007، ص. 58) تُكوّن جملة من العناصر المعرفية المترابطة فيما بينها، والتي يحكمها تنظيم داخلي وهندسة نوعية؛ إذ تبدو هذه العناصر مُبنينة ومهيكلة بشكل جيد، وتقوم على وحدتين مختلفتين، يُفترض أنهما متعارضتين، لكن متكاملتين في وظيفتيهما؛ واحدة تتمثل في النواة المركزية والأخرى في العناصر المحيطة (Abric، 1994a). بعبارة أخرى، تخضع التمثلات في اشتغالها لنظامين مستقلين: الأساسي منهما، يحيلنا على النظام الداخلي أو النواة المركزية، والآخر يحيلنا على النظام المحيطي الذي يمثل مجموع العناصر المعرفية التي تنتظم وتلتف حول هذا النظام الداخلي.

تشكل النواة المركزية العنصر الأساسي الذي تتشكل وتنتظم حوله مختلف عناصر المكونات الذهنية التي تكوّن وتشكل التمثلات والذي يتحكم في المكونات المعرفية المهيكلة لبنية التمثلات والفاعلة في تنظيمها وهندستها، كونها تقوم بالوظائف المركزية للنظام التمثلي العام. وهي تتمثل في ثلاث وظائف أساسية (Abric، 1993؛ Moliner، 2016)؛ تعنى الأولى بتوليد وتصميم معاني ودلالات العناصر والمكونات المشكلة للتمثل؛ وتيسر الثانية التنظيم والانسجام الداخلي للتمثلات التي تسمح بتحديد العلاقات التي تربط وتجمع بين عناصرها، في حين ترتبط الوظيفة الثالثة بالصفات الثابتة والحافظة للتمثلات في الزمن واستمراريتها، حيث تميز عناصرها وتبقى ثابتة نسبيا وغير "قابلة للتغير" والتحول، غير أنها في ظروف أخرى يمكن أن تخضع لهما وتجعل نظام التمثلات عموما يتغير بصفة جذرية بنيويا. وبالتالي، فإن تغيير النواة المركزية للنظام التمثلي العام ينم بشكل مباشر على تغيير التمثلات الاجتماعية بصيغتها الكلية. بحيث أنها تشكل "التمثلات في حد ذاتها" (Abric، 1994a)، كما أن أي تغيير قد يلحق عنصرا من عناصرها - أو تغيرها بشكل شامل- يقتضي جهدا وكلفة معرفية ونفسية اجتماعية مهمة (Moliner، 2016).

على الرغم من أن النواة المركزية تلعب الدور الرئيس في نظام التمثلات، فإن العناصر المحيطية لها دور مهم في اشتغاله وتكيفه مع المحيط باستمرار؛ إذ تبقى هذه العناصر المحيطية بمثابة الواجهة المباشرة التي تقابل وتواجه الظروف البيئية وتغيراتها المختلفة، بهدف حفظ وحماية البنية الداخلية للتمثلات وتأمين تكيفها واستمراريتها لحدود معينة، علاوة على أنها مرنة يسهل قولبتها وتغيرها لصالح المؤثرات الثقافية والاجتماعية لهذه البيئة. بهذا، تتحدد مهمة الوظائف الأساسية للنظام المحيطي في حماية النظام الداخلي للتمثلات وترجمة عناصره ومكوناته على أرض الواقع (Ratinaud و Fregonese، 2020)، حيث تلعب الدور الوسيط بين النواة المركزية والعالم الخارجي والواقع الذي يعيشه ويواجهه الأفراد والجماعات (Lheureux وآخرون، 2008).

### 2. الأساليب المنهجية

إن إعداد وتصميم أي بحث علمي كيف ما كانت طبيعة موضوع دراسته وظواهره - إنسانية، طبيعية، معرفية - يخضع إلى جملة من المبادئ والضوابط المنهجية التي تؤطر الباحثين فيه وتوجههم في معالجتها ومقاربتها علميا. إلا أن اختيار هذه الضوابط المنهجية - أو بالأحرى المنهج العلمي الملائم- واعتمادها بشكل مناسب في

الدراسات العلمية يخضع إلى طبيعة مواضيعها والعينات المستهدفة داخلها، إضافة إلى الإطار النظري المعتمد في مقاربتها والبيئة التي تجرى فيها (Abric، 1994b). وبالتالي، لا يختلف البحث في التمثلات الاجتماعية عن المبادئ والقواعد الجوهرية التي يقوم عليها البحث العلمي، حيث يتماشى مع مختلف ضوابطها وإجراءاتها المنهجية المختلفة.

وعليه، يعتمد الباحثون في دراسة التمثلات على جملة من المناهج والتقنيات العلمية التي تمكنهم من فهمها وتفسيرها ووصف منطق اشتغالها. إذ عرفت هذه الأدوات العلمية تطورا ملحوظا في البحث السوسيومعرفي حول دراسة ظواهر التمثلات والفكر الاجتماعي بشكل أشمل، حيث يرجع تعددها واختلافها إلى المقاربات والمرجعيات النظرية. فإذا كانت المقاربات الكلاسيكية للتمثلات؛ كـ المقاربة السوسيولوجية (Durkheim، 1895)، وبعدها السوسيوتكوينية (Moscovici، 1976 وJodelet، 1984، 1989) قد جعلت من المقابلة والاستمارة وتحليل المضمون والتركيز على المجموعات الصغيرة، الأدوات المفضلة في دراسة تمثلات وتصورات الأفراد والجماعات للعالم والموضوعات، فإن نظرية النواة المركزية (Abric، 1976، 1994) أو المقاربة البنيوية عامة، بدورها جددت وغيرت بشكل جوهري الباراديغم النظري والمنهجي لدراسة التمثلات، مما جعلها ترسي مقاربة منهجية جديدة متعددة الأبعاد، تقوم أحيانا على مبدأ التجريب والاختبار، وأحيانا أخرى على المزج بين تقنيات متعددة تكمل بعضها البعض. ثم إن دراسة وتحليل ظواهر التمثلات وفهم اشتغال نظامها الداخلي، تتطلب من منطلق البنيوية إجراءات نوعية مختلفة؛ يتجلى بعضها حسب أبريك (1994b) في جمع المعطيات المرتبطة بموضوع التمثلات وهو ما يُمكّن من معرفة محتوياتها الذهنية وكشف حقلها الدلالي، حيث يتم بواسطة المقابلات الموجهة وغير الموجهة، كـ الاستبانة، والتداعيات اللفظية، وبعضها الآخر، يتمثل في تحديد واستكشاف البنية والتنظيم الداخلي والعناصر المركزية المرتبطة بها والتي تُكوّن نواتها المركزية، إضافة إلى مراقبة واختبار عناصر مركزيتها، ويتم ذلك عن طريق الاستحضار التراتبي والخطاطات المعرفية القاعدية واختبار التساؤلات وتقنية التعرف على خصائص موضوع التمثلات (أنظر، Abric، 1994b، 2003).

ارتباطا بما سبق، سنتطرق إلى أهم الأساليب المنهجية التي تعتمدها المقاربة البنيوية في دراسة التمثلات الاجتماعية، حيث سنركز أساسا على التقنيات التي تسمح باستكشاف وتحديد بنياتها ونواها المركزية واختبار مركزية عناصرها والمتمثلة أساسا في التداعيات اللفظية واستحضاراتها التراتبية، واختبار التساؤلات، والخطاطات المعرفية القاعدية، بوصفها تقنيات مهمة تميز هذه المقاربة وتجيب عن خلفياته النظرية.

### 1.2 التداعيات اللفظية والاستحضار التراتبي

تحيلنا التداعيات اللفظية/الحرة verbal association على إنتاجات لفظية يقدمها الفرد بشكل حر أثناء تجاوبه مع موضوع محدد، حيث من خلالها يعبر عما يراه ويتصوره كأفكار ومعارف يمكن أن تكشف عن تمثلاته الحقيقية. وقد استخدمت كمنهج لدراسة التمثلات الاجتماعية مع فيرجس Vergès (1992) وفرجس وأبريك (1994)، وذلك بهدف جمع المعطيات حول التمثلات للكشف عن بنياتها الداخلية، ويقدم فيها المفحوص إجابة شاملة - أو إجابات مفصلة - للتعبير عن الأفكار والمعلومات والآراء التي تحضر في ذهنه تلقائيا تجاه موضوع معين.

تسمح التداعيات اللفظية للباحث بكشف الحقل الدلالي عن طريق الكلمات والتعابير التي ينتجها ويوظفها الأفراد في خطاباتهم وتُكوّن معجمهم المعرفي لموضوع التمثلات. كما تُمكّن من التعرف على الكلمات الضمنية والخفية التي تعبر عن تمثلات الفرد لموضوع ما وتكشف عن النواة البنيوية الكامنة في التمثلات الاجتماعية (Abric، 1994b). وتمر عملية التداعيات الحرة للكشف عن التمثلات الاجتماعية حسب أبريك (2003) بمرحلتين مهمتين؛ الأولى، ترتكز على الطلب من المبحوث أن يعطي ويفصح من خلال العبارة المفتاح عن كل الكلمات والتعابير التي تأتي و تتبادر إلى ذهنه بكيفية تلقائية. وبالتالي، فهي تمكن الباحث خلال مدة زمنية قصيرة من معرفة واستكشاف الحقل الدلالي والمعرفي المرتبط بموضوع التمثلات. في حين أن الثانية، يطلب فيها من المبحوث أن يصنف ويرتب كل العبارات والتعابير التي اقترحها كإجابات، انطلاقا من درجة الأهمية التي يمنحها لكل واحدة منها.

وبعد إنهاء الباحث من هذه الإجراءات وحصوله على المعطيات المرتبطة بالتمثلات، يعتمد تقنية المعالجة المبنية على الاستحضار التراتبي hierarchical evocation (وقد اقترحها فرجس (1992)) للعبارات التي تُكون المحتويات والعناصر الذهنية للتمثلات، حيث يرتكز تحليلها على معيارين أساسيين: تكرار العبارة، وأهميتها عند المفحوصين (Lo Monaco وآخرون، 2017). وذلك بهدف تحديد العناصر المركزية والمحيطية في التمثلات. وعلى هذا الأساس، يشكل الاستحضار التراتبي أداة مهمة لتحليل محتويات التمثلات والكشف عن عناصر تنظيمها، إذ يدخل ضمن الإطار المكمل لمنهج التداعيات اللفظية، والتي تسمح للباحث بالتعرف على بنية التمثلات - النواة المركزية والعناصر المحيطية - من خلال برنامج "Evoc " الذي يسمح بمعالجتها إحصائيا، باعتماد مؤشري تكرار العبارة والأهمية الموافقة عند أفراد العينة (أو متوسط رتبة ظهورها في خطاب المفحوص).

### 2.2 اختبار التساؤلات

يعد اختبار التساؤلات Attribute-Challenge Test، وهو اختبار وضع العناصر المهمة في التمثلات موضع تساؤل- من بين التقنيات المهمة التي تساعد على كشف بنية التمثلات الاجتماعية، وخاصة اختبار وفحص مركزية عناصرها، والتي تركز بالأساس على البعد الرمزي للتمثلات وعناصرها المركزية. وقد حضره الباحث موليني Moliner (1989) صاحب نموذج البعد الواحد للتمثلات، والذي طورها من خلال أعمال أبريك، التي تفترض أن تمثلات النواة المركزية لا تقبل التفاوض، وإخضاعها لموضع التساؤل يجب أن يدخل تغييرا عميقا في نظام التمثلات (Abric، 2003)، على عكس تمثلات العناصر المحيطية التي يمكن لعناصرها ومكونتها أن تقبل التعارض والتفاوض.

يقوم اختبار التساؤلات الذي يفحص بنية التمثلات، ويختبر مركزية عناصرها على أساس نفي مزدوج ( Lo Monaco، 2019). حيث يقدم الباحث على إعداد سلسلة من التعابير، انطلاقا من الدراسة الاستكشافية الأولية حول الموضوع التمثلي، والتي تنفي وتدحض كل العناصر المهمة في التمثلات بغية التأكد من قابلية تفاوضها عند المفحوصين، وذلك بهدف معرفة ما إذا كان غياب العلاقة بين عناصر التمثلات وموضوعها (النفي الأول) مقبول (غياب النفي) أو غير مقبول (النفي الثاني) عند الأفراد المفحوصين (Lo Monaco وآخرون، 2017). وبالتالي، يعد رفض التعرف على موضوع التمثلات من خلال عنصر ما عند غالبية الأفراد مؤشرا دالا على انتمائه للنواة المركزية، مادام أنه لا يقبل بالتفاوض.

### 3.2 الخطاطات المعرفية القاعدية

لقد تأسست الخطاطات المعرفية القاعدية basic cognitive schema على عملية التداعيات اللفظية (Guimelli و Rateau، 2003)، وشكلت الأداة المثلى لدراسة ومقاربة التمثلات الاجتماعية، بهدف الكشف عن محتوياتها وبنياتها وتنظيم عناصرها المختلفة، وكذا تحديد واختبار مركزية عناصرها. حيث تعد بمثابة النموذج المنهجي الذي تتحقق فيه مختلف محطات البحث الإمبريقي لتحليل التمثلات الاجتماعية من منطلق البنيوية، وباستقلالية تامة عن أدوات أخرى. وهي تمكن من جهة، من معرفة محتوياتها الذهنية، ومن جهة أخرى، كشف وتحديد بنياتها الداخلية (Rateau و Lo Monnaco، 2013). حيث تقوم على تداعي واستنطاق إجابات محدودة وفحص ارتباطاتها انطلاقا من العبارة أو التعبير الذي يُقدم للمبحوث على أنه يمثل موضوع التمثلات، كما تساعد الباحث على فهم الارتباطات الضمنية للإجابات فيما بينها والتي تمثلها روابط معرفية cognitive connectors في الأساس.

ينبني هذا النموذج المنهجي إجرائيا باستخدام البروتوكول التالي: تُقدم للمبحوث العبارة المفتاح، ويطلب منه أن يعطي كتابيا، وبأقصى سرعة ممكنة، ثلاث عبارات (أو صفات أو تعابير) تتبادر إلى ذهنه تلقائيا وترتبط بالعبارة الأولى (Guimelli و Rateau، 2003؛ Lo Monaco و Lheureux، 2007)، إذ تمثل في الأصل إجابات المبحوث على السؤال. ويتم الحصول على ثلاث إجابات متتالية (إ (1)، إ (2)، إ (3)) مترابطة (Guimelli و Rateau، 2003)، وهي تعكس ما استوعبه المبحوث من أفكار ومعلومات تمثل المعنى الفعلي للموضوع المستهدف. ويهدف الباحث من خلال الخطاطات المعرفية القاعدية إلى استنطاق واستكشاف المعاني والمعلومات المهمة التي تتعلق بالموضوع التمثلي وتكوّن بنية التمثلات، وعلى ضوئها يختبر عناصر مركزيتها ضمن النظام العام للتمثلات بواسطة الروابط التي تجمع بينها.

تبدو الغاية الرئيسة للنموذج القائم على الخطاطات المعرفية القاعدية في رصد محتويات التمثلات وتحديد بنيتها- النواة المركزية والعناصر المحيطية- من خلال الكشف عن العلاقات والروابط المعرفية بين عناصر المعرفة التي تكوّنها، والمتضمنة في المجال اللفظي والمعجمي للمشاركين. ويقر كيملي Guimelli بوجود علاقات وروابط أساسية بين العناصر المعرفية - عنصر (أ) مع عنصر (ب)- وهي تأخذ صيغا وأشكالا عديدة. وكل صيغة من الصيغ يمكن بلورتها بواسطة رابط معين (Guimelli، 2003)، ويسعى الباحث من خلالها إلى فحص العلاقة بين العناصر المركزية للتمثلات، وذلك على أساس اختبار الاقترانات والارتباطات الموجودة بين العناصر المعرفية المضمرة في تمثلات الأفراد. حيث يقوم على فهمها والتعرف عليها من خلال استخدام 28 رابطا متضمنا في المجموعات الخمس التالية: المعجم lexicon، والمجاورة neighborhood، والتركيب composition، والتطبيق praxis، والإسناد attribution، ولكل منها روابطها الخاصة (Guimelli، 2003).

### خلاصة

لقد عرف مفهوم التمثلات الاجتماعية تطورا مهما في مجال علم النفس الاجتماعي والعلوم الإنسانية. وقد ترتب على ذلك ظهور مقاربات ونماذج نظرية جديدة تجلى بعضها في المقاربة البنيوية التي شكلت موضوع هذه الدراسة. ويبقى ظهور هذه المقاربة العلمية في جانب مهم منه امتدادا لمفهوم "النواة الصورية" الذي تم اقتراحه

في نظرية التمثلات الاجتماعية. وتعد المقاربة البنيوية للتمثلات - أو نظرية النواة المركزية - مقاربة نفسية اجتماعية نوعية، تميزت عن نظيراتها الأخرى، من حيث خلفياتها النظرية ومبادئها المعرفية وأساليبها المنهجية، وتمحور موضوعها الأساس في دراسة وتحليل التنظيم الداخلي للتمثلات الاجتماعية. وذلك من منطلق بنياتها وعناصر نواها المركزية. بالنظر إلى أن هذه التمثلات تشكل بناء سوسيومعرفيا، يتكون من النواة المركزية - أو البنية الداخلية للتمثلات - التي تمثل القاسم المشترك بين أعضاء جماعة أو طائفة اجتماعية معينة، والنظام المحيطي الذي يرتبط بالأبعاد والتجارب الفردية.

تكمن أهمية هذه المقاربة بالأساس في قدرتها النظرية والمنهجية والإمبريقية على دراسة وتحليل بنية التمثلات الاجتماعية، لأنها تمثل معارف ثابتة ومستقرة في النظام الذهني للأفراد؛ إذ أكدت على أن التمثلات لكي تكون تمثلات اجتماعية متقاسمة، يجب أن تكون عناصرها ومكوناتها منتظمة حول نواة مركزية مشتركة بشكل شبه موحد بين أعضاء الجماعة التي تحملها، ومستقلة بذاتها، حيث تأخذ مواقع عناصر انتظامها مكانة خاصة تميزها بتراتبية نوعية متميزة. وبالتالي، فالباحث في مجال التمثلات يجب أن يكشف منهجيا وأمبريقيا عن محتوياتها المعرفية وبنياتها الأساسية (النواة المركزية والعناصر المحيطة)، وذلك لاختبار مركزية عناصرها. ولتحقيق هذه الإجراءات المنهجية، جاءت هذه المقاربة بأدوات نوعية أسهمت في تحقيق مسعاها العلمي؛ إذ ساعدت على جمع المعطيات حول موضوع التمثلات من جهة، ومن جهة أخرى سمحت بكشف وتحديد تنظيمها الداخلي وعناصرها المركزية.

## المراجع

Abric, C. J. (2003). La recherche du noyau central et de la zone muette des représentations sociales. Dans C. J. Abric, Méthodes d'étude des représentations sociales (pp. 58-80). Ramonville Saint-Agnes: Erès.

Abric, J. C. (1994b). Méthodologie de recueil des représentations sociales. Dans J.-C. Abric, Pratiques sociales et représentations (pp. 59-82). Paris: PUF.

Abric, J. C. (2003). L'étude expérimentale de la représentation sociale. Dans D. Jodelet, Les représentations sociales, 7 éd. Paris: PUF.

Abric., J. C. (1994a). Les représentations sociales: aspects théoriques. Dans J. C. Abric, Pratiques sociales et représentations (pp. 11-36). Paris: PUF.

Buschini, F., & Lorenzi-Cioldi, F. (2013). Dans L. Bègue, & O. Desrichard, Traité de psychologie sociale : La science des interactions sociale (pp. 393-416). Bruxelles: De Boeck.

Charki, A. (2019). Social representations and the mechanisms of cognitive functioning. Arab Journal of Psychology, 4(2), 151-163.

Charki, A. (2021). Représentations du «métier d'enseignant» chez les enseignants marocains. Revue des sciences sociales-Centre démocratique Arabe, Allemagne-Berlin, 19, 585-606.

Gaymard, S. (2021). Les fondements des représentations sociales: sources, théories et pratiques. DUNOD.

Guimelli, C. (2003). Le modèle des Schèmes Cognitifs de Base (SCB) : méthodes et applications. Dans J. C. Abric, Méthodes d'étude des représentations sociales (pp. 119-146). Ramonville Saint-Agnes: Erès.

Guimelli, C., & Rateau, P. (2003). Mise en évidence de la structure de contenu d'une représentation sociale à partir de modéle des schémes cognitifs de base: La représentation des études. Nouvelle revue de psychologie, 2(2), 158-169.

Lheureux, F., Rateau, P., & Guimelli, C. (2008). Hiérarchie structurale, condionnalité et normativité des représentations sociales. Les Cahiers Internationaux de Psychologie Sociale(77), 41-55. https://doi.org/: 10.3917/cips.077.0041.

Lo Monaco, G. (2019). Étudier les représentations sociales: contenu(s), structure(s) et régulations sociales. https://gcaf.hypotheses.org/260.

Lo Monaco, G., & Lheureux, F. (2007). Représentations sociales : théorie du noyau central et méthodes d'étude. Revue électronique de Psychologie Sociale, 1, 55-64.

Lo Monaco, G., Piermattéo, A., Rateau, P., & Tavani, J. L . (2017). Methods for studying the structure of social representations: a critical review and agenda for future research. Journal for the Theory of Social Behaviour, 47(3), 306-331.

Moliner, P. (2016). De la théorie du Noyau Central à la théorie du Noyau Matrice. Papers on Social Representations, 25(2), 1-13. [http://www.psych.lse.ac.uk/psr/].

Moliner, P., & Vidal, J. (2003). Stéréotype de la catégorisation et noyau de la représentation. Revue Internationale de Psychologie Sociale, 1, 157-176.

Moscovici., S. (1976). La psychanalyse son image et son public (éd. 2éd). Paris: PUF.

Rateau, P., & Lo Monnaco, G. (2013). Etude de sens commun. Dans L. Bègue, & O. Desrichard, Traité de psychologie social. La science des interactions sociale (pp. 419-430). Bruxelles: De Boeck.

Rateau, P., Moliner, P., Guimelli, C., & Abric, J. C. (2012). Social Representation Theory. In Paul A. M, Van Lange, Kruglanski. W and Tory Higgins E. Handbook of Theories of Social Psychology. London: SAGE.

Ratinaud, P & Fregonese, C. (2020). Interrogation de la fonction de génération de signifcation du noyau central des représentations sociales à partir de l'étude longitudinale d'un système représentationnel de trois objets. Les Cahiers Intérnationaux de Psychologie Sociale, 125(128), 19-38.

Ratinaud, P., & Fregonese, C. (2020). Interrogation de la fonction de génération de signifcation du noyau central des représentations sociales à partir de l'étude longitudinale

d’un système représentationnel de trois objets. Les Cahiers Intérnationaux de Psychologie Sociale, 125(128), 19-38.